توطئة

تعد **التفكيكية** من أهم مداخل **نظريات النقد المعاصر**، حيث ظهرت كتيار نقدي جديد عرف **بما بعد البنيوية (الحداثة)** اكتسح الساحة الفكرية والنقدية الأدبية معا. فأحدث ثورة على مستوى القيم الأدبية التي كانت سائدة آنذاك. وأقامت صرحا جديدا للوقوف على الدعائم الراسخة في الفكر الإنساني لتخلخل نسقيتها، ومن ثمة تفكك ما هو موجود وقار كمركز لا يجوز بأي حال خلخلته أو المساس ببنيته التحتية؛ باعتباره مقدسا اكتسب قدسيته بأقدميته. فكانت بداية هذه الاستراتيجية إثر أحداث ماي **1968** التي جرت في فرنسا قصد تغيير مسار النقد. بإيقاف اكتساح **المد البنيوي**؛ بخروج طلبة الجامعة الفرنسية، مطالبين فيها بإسقاط البنيوية. "لقد كان لأحداث أيار عام 1968 في فرنسا الأثر الحاسم في وقف **المد البنيوي**، ومضاعفة النقد، وبدء ثورة السيميولوجيا"[1]

وبعدها بدأت تتبلور فكرة منهج جديد يهتم **بالعلامة** بعد أن بشر به **فاردیناند دوسوسير Ferdinand de Saussure** في بادئ الأمر من خلال (**محاضراته في الألسنية العامة**) ثم تطور هذا الدرس العلاماتي مع **بيرس Charles Sanders Peirce** فيما بعد وحمل تسمية **semiotics**.

قام **جاك دريدا Jacques Derrida** بنقد من قال بقمع الكتابة على حساب الصوت باسم **التمركز حول الصوت phonocentrism** ...فقد لاحظ **دريدا** أثناء تفكيكه لنصوص **دوسوسير** تمركزا تَمثل في إعلاء شأن الكلام على حساب الكتابة،

ومن جملة ما قامت عليه التفكيكية أيضا.دعوتها في تقويض النصوص على جملة من المبادئ أهمها:

1. **عدم قصدية المؤلف** في المعنى. وهذا ما يفتح الباب أكثر لتعدد القراءات، أو ما يسمى **بلانهائية الدلالة**، فاسحا المجال أمام التأويل، والهدم وإعادة البناء.
2. كما اعتمد أيضا على كسر الحدود القائمة بين النصوص، أو ما يعرف بالبينصية **Intertextualité**.
3. **التشكيك** في القيم والثوابت؛ إذ زعزعت النصوص **بالشك** ورفضت التقاليد وتقديم قراءات متعددة.

ومسارات الإبستيمولوجية للتفكيك

للتفكيك سياق معرفي ومسار إبستيمولوجي يتحدد من خلال نقاط أربع:

[1] – عبد الله إبراهيم وآخرون، معرفة الآخر مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، المركز العربي الثقافي، الدار البيضاء. بيروت ط2 1996. ص:21.

ما بعد البنيوية الدكتور وليد عثماني

- **أولاها:** اعتمد على **نقده للبنيوية** نتيجة فشلها الذريع في استيعاب جميع النصوص، ومن ثمة الضعف في تحقيق الممارسة المطلوبة، وكذا النفاذ إلى جميع التشكيلات النصية.
- **ثانيها**: اعتماد **التفكيك** على **الشك بالتشكيك في كل شيء** المساهمة في محاورة النص وكشف أغواره.
- **ثالثها**: تزامن استراتيجية **التفكيك** مع **نظرية التلقي** فقد أثرا في بعضهما البعض؛ بحيث تلاقحا معرفيا، وتقاربا من حيث الاعتمادُ المطلقُ على **القارئ/المتلقي** بعده الرائد في صنع المعنى.
- **رابعها**: انطلاق **التفكيك** من الإقليم الفرنسي ليترعرع في إقليم أمريكي، نتيجة تناقضه كاستراتيجية تشكيكية، مقوضة، ثائرة على قيم تتنافى والمزاج الثقافي الفرنسي، ومن ثم كانت الانطلاقة الأولى لهذه الإستراتيجية، وأخذت في السير قدما نحو الأمام.

جينيالوجيا التفكيك المسار الإبستيمولوجي والسياق المعرفي لاستراتيجية التفكيك

- **أولا** : ***التفكيكية نقد موجه للبنيوية.***

ظهرت **التفكيكية** كاستراتيجية جديدة للتعامل مع النصوص؛ إذ أخذت على عاتقها مهمة الارتقاء بالنقد، وتحقيق ما عجزت البنيوية عنه، وكدعامة أساسية لظهور **التفكيكية** قامت على **نقدها للبنيوية**، والوقوف على الهنات التي وقعت فيها. وبالتالي أرادت أن تحل محلها. لأن البنيوية "تطمح إلى تأسيس مذهب نقدي يعتمد في شرعيته على منهج علمي تجريبي."[2] لكن قصور الآليات البنيوية على تصور مشروع كامل هو الذي شجع نخبة من المفكرين على هذه الثورة "**فالتفكيكيون** فعلا خرجوا من عباءة **البنيوية** لأن غالبيتهم بدأوا حياتهم كبنيويين، وحينما فشل المشروع البنيوي في تحقيق طموحاتهم في تقديم مشروع متكامل للتحليل تمردوا على البنيوية "[3] وبالتالي يكون هذا التمرد هو الذي فتح أمامهم أبواب التحول إلى مناهج أخرى "فبعضهم تحول إلى التحليل النفسي مثل **لاكان** وآخرون تحولوا إلى الفلسفة، والبعض الآخر تحول إلى دراسة فلسفة اللغة مثل **دريدا**"[4]. وكذلك رولان بارت تنصل كلية عن البنيوية ليتحول هو الآخر إلى مناهج عديدة، حيث عمل بنيويا، وتفكيكيا، وسيميولوجيا "ومن البنيويين الذين تنكروا للبنيوية بل عجلوا الدعوة إلى هدمها، والتخلي عنها **جاك دريدا** الذي هاجم ما فيها من تجريد، واختزال شكلي، وآنية ميتافيزيقية، و**جوليا كريستيفا**، ومجموعة**Tel Quel** التي دعت إلى سيميائية جديدة"[5].

---

[2] – عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، سلسلة عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت 1998. ص 298.

[3] – المرايا المحدبة، ص: 317.

[4] – المرايا المحدبة، ص: 317 . 318.

[5] – إبراهيم محمود خليل، النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة الأردن. ص: 103.

ومن خلال ما تم ذكره نلاحظ أن بوادر التفكيك بدأت تظهر في أوج **الأزمة البنيوية**؛ حيث ظهرت العيوب النسقية التي وصلت إليها، وبذلك اتخذها روادها ذريعة للانسلاخ عنها، والتجرد كلية منها إلى إنشاء إستراتيجية جديدة تساهم، وتمكن من قراءة النصوص لعلها تصبو إلى تحقيق ما عجزت البنيوية عن تحقيقه.

- **ثانيا: اعتماد التفكيك على الشك واليقين**

أما **ثاني هذه المرتكزات** التي حددت مسار **التفكيك** اعتماده على **الشك** في نسف واقعية النصوص، والقراءات المقدمة لها "إنَّ **إستراتيجية التفكيك** تنطلق من موقف فلسفي مبدئي قائم على **الشك**، وقد ترجم **التفكيكيون** هذا **الشك** الفلسفي نقدا إلى **رفض التقاليد، رفض القراءات المعتمدة، رفض النظام والسلطة من ناحية المبدإ**"[6]

وبهذا يكون **التفكيكيون** قد أقاموا صرحا جديدا، واستحدثوا مسارا آخر في استنطاق النصوص؛ إذ **بالتشكيك** في أنسجة القراءات السابقة ودلالاتها، تنتفي المعرفة اليقينية الصحيحة. وهذا **الشك** ولَّد مرضا لا يمكن الشفاء منه في حدود تعبير **هارولد بلوم Harold Bloom** عن **التشكيكية** بأنها: سقم لا يمكن الشفاء منه تماما؛ فكلما خرجنا من **شك** ندخل في **شك** آخر، وبالتالي نبقى ندور في دائرة مفرغة من الشك واللا يقين*. فإحداثية **"الشك واليقين"** من أهم المرتكزات التي استند إليها التفكيك في قراءة النصوص "**فالتفكيك** إفراز عصر **الشك** الكامل الذي خيم على كل شيء فاستحالت معه المعرفة اليقينية، وفقد العالم محور ارتكازه"[7]. وبهذا يكون العالم قد عرف دوامة كبيرة بين **الشك واليقين، واليقين والشك. واللا شك واللا يقين...** وفي الأخير لا يكون إلا **الشك** بعد أن كان اعتقادا جازما بأنه يقين. وهذا ما زُرع في النص حتى وُلد ما يعرف بالتفسير **اللانهائي للدلالة** وهي أمور تفسر لا نهائية الدلالة القائمة على استحالة المرجعية لأي سلطة خارجة ليست موجودة أصلا ونفي التفسيرات الموثوقة أو المعتمدة.

وبالتالي نسف **الشك** كل المعتقدات، والتفسيرات التي سبقته، وأتاح فرصا عديدة **للعب الحر بالدوال** على حساب **المدلولات** "إن **التفكيك** الذي أفرزه موقف **شك** كامل لا يثق في النسق باعتباره نظاما عاما يحدد طريقة أداء العلامات، ويعطي المدلول حرية اللعب الكامل منفصلا عن الدال، يبيح للقارئ أن يفسر العلامات بالمعنى الذي يشاء"[8]

---

[6] – المرايا المحدبة، ص : 306.

* وردت هذه الفقرة على ظهر كتاب كريستوفر نوريس: التفكيكية النظرية والممارسة.

[7] – المرايا المحدبة، ص: 337.

[8] – المرايا المحدبة، ص: 321.

إن **الشـك** قد أحدث فوضـى عارمة، وفتح جملة **من اللاءات**: **اللاحقيقة**، **لا قصـدية المؤلف**، **اللا يقين**، **لا نهائية الدلالة**. وعلى إثر هذه الجملة عرف ما يسمى بـ: **تعددية القراءة**، وأصبحت كل قراءة تشكل إساءة قراءة، وفُتح الباب على مصراعيه للعب الحر، والمطلق بالمدلولات، وإفساح المجال واسعا أمام التأويلات الكثيرة للعلامة.

- ***ثالثا*: تأثر التفكيك بنظرية التلقي.**

لم يكتف **التفكيك** بهذا فحسـب. بل تعداه إلى التناص المعرفي؛ إذ بحكم **تزامن إسـتراتيجية التفكيك ونظرية التلقي**، فقد احتكا مع بعض. وتناص التفكيك مع أهم مبادئ التلقي "إن كلا من **التلقي** و**التفكيك** يلتقيان في أهم مبادئهما وهو إلغاء النص وقصدية المؤلف"[9]. وبذلك نجد أن كلاهما يركزان على **القارئ/المتلقي**. حيث يبين عبد العزيز حمودة مدى تداخل كل من **التلقي** و**التفكيك** بعد أن تطرق **لرائد التلقي إيهاب حسـن** و**جاك دريدا** مبينا تزامن الرائدين في عصـر واحد "وإن كان ذلك التزامن يؤكد في الوقت نفسـه أن الرجلين ينتميان إلى جيل **ما بعد الحداثة** الثقافية بصـفة عامة، لكنه أيضـا يؤكد قدر التداخل بين **نظرية التلقي** و**إسـتراتيجية التفكيك** أكثر بكثير من كم الاختلاف"[10] وفي خضـم حديثه عن العلاقة بين **التلقي** و**التفكيك** يقول: "**التفكيك** هو المشـروع الأكبر الذي يمكن أن تندرج تحته **نظرية التلقي**"[11]

ومن خلال هـذا **الاحتكاك**، يمكن القول بأنه هو الوحيد الذي جعل **التفكيك** يأخذ من **نظرية التلقي** أهم مبادئها، ويوليها أهمية كبيرة، ويلحقها به، ويجعلها ركيزة أسـاسـية من بين جملة ركائزه، وأصـبح الاعتماد عليها بشـكل محوري في العمل. وهـذا المحور الرئيس هو **القـارئ/المتلقي**؛ على الرغم من أن النص تتحدد ملامحه بـالاعتماد على المحـددات التـاليـة؛ النسـق، والنظـام، والعلامـة، واللغـة، والمؤلف. إلا أن **التفكيـك** يُقْصِـرُ تحـديـد المعنى على **القارئ/المتلقي** وحسـب، إذ هو الوحيد الذي يُحْدث، ويُحدد المعنى دون سـائر العناصـر "ولا نكون مبالغين إذا قلنا إن أهم الأدوار في **إسـتراتيجية التفكيك** هو دور **القارئ** وليس المؤلف، أو العلامة، أو النسـق، أو اللغة. و**القارئ** فقط هو الذي يَحدث عنده المعنى ويُحدثه، ومن دون هذا الدور لا يوجد نص، أو علامة، أو مؤلف"[12]

هذا هو إيمان **التفكيك** المطلق بدور **القارئ/المتلقي** كركيزة أساسية في قراءة النصوص، وإنتاج المعنى، وتحديد المـدلـولات انـطـلاقـا من جـمـلـة الـدوال، ومـا يـتـوقـعـه **الـقـارئ/المـتـلـقـي** ويـتـطـلـع إلى أن يـجـده في الـنـص

[9] – المرايا المحدبة، ص: 321.

[10] – عبد العزيز حمودة، الخروج من التيه، سلسلة عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. الكويت 2003. ص: 110.

[11] – الخروج من التيه. ص: 110.

[12] – المرايا المحدبة، ص: 321.

"إن أي مناقشة **للتفكيك** لابد أن تبدأ **بالقارئ**، وتجربة **التلقي** لا يوجد قبل حدوثها شيء"[13]. وبهذا التداخل والتقارب الحادث بين **التلقي والتفكيك** نجده قد خلق لحمة بينهما، أو وحدة انصهار "ظللنا لبضع سنوات نتحدث عن **التفكيك** باعتباره **نظرية تلق** مطورة" [14] ومن خلال ما سلف ذكره؛ نجد أن **التفكيك** بحكم تزامنه مع **نظرية التلقي** قد استعار منه أهم مبادئه **(القارئ/المتلقي)** وأصبح محركا لهذه **الإستراتيجية**.

- **رابعا : انتقال التفكيك من فرنسا إلى أمريكا**.

أما فيما يخص حركة **انتقال المصطلح من فرنسا إلى أمريكا** فالفضل في ذلك يرجع إلى **دريدا** الذي زرعها في إقليم الولايات المتحدة الأمريكية؛ حيث إن التربة الثقافية الفرنسية هي التي أفرزت التفكيكية، ثم لفظتها فيما بعد لأن "**المزاج الثقافي** الفرنسي قد شكلته قوى التجانس، والتوحد لفترة طويلة"[15]

وبما أن **التفكيكية** تقوم على محور أساس تعمل من خلاله في دراسة النصوص، ألا وهو **الثورة على القيم، والتقاليد ورفضها**؛ كونها تحجب المعنى وتُغَيِّبُهُ. فقد لقيت هذه **الإستراتيجية** معارضة شديدة من قِبَل الثقافة الفرنسية وعلى إثرها جرى انتقال التفكيك إلى أمريكا. ويكون **رولان بارت** قد ارتبط **بالتفكيكية** أكثر من ارتباطه **بالبنيوية**. و**التفكيكية كاستراتيجية** نقدية تقوم على **الشك، واللا ثبات**، وخلخلة جميع الأنظمة، والأنساق الموروثة "إن **التفكيك** بمعنى ما، **يقوم على رفض المذاهب السابقة**، ويُخَطِّئ كل المشاريع. بل إنه في جوهره يقوم على **رفض التقاليد**، والسلف التي يرى أنها تحجب المعنى وتكبته"[16] ولما كانت الثقافة الفرنسية متجذرة في محيطها رافضة لمبدإ **اللا نسق اللا تاريخ** اصطدمت بالمقترح التفكيكي الذي يشكك في ثبات القيم وأصالتها. وتباشر استبعادها "حينما اكتشف أن **التفكيك** في حقيقته ينسف التوحد، ويلغي التجانس لأنه ينادي بالتعدد اللانهائي في تفسير النص"[17]. ولا يتأتى ذلك إلا من خلال **لانهائية الدلالة، وعدم قصدية المؤلف**. وعلى إثر هذا الرفض، اضطر أصحابها إلى الهجرة إلى إقليم آخر غربي يؤمن بأفكارها المحورية، أو يتشاكل مع دعوتها... فكانت الانطلاقة مع **جاك دريدا** الذي خرج بها كنقلة نوعية إلى أمريكا قصد غرسها هناك.

وأول من استقطب **التفكيك** في أمريكا جامعة **"ييل" "Yale"** النقدية؛ إذ نظرت إليه بنظرة حداثية يمكن أن تُؤْخذ كبديل عن **البنيوية**، فما أن لاح نجمها مع **جاك دريدا** حتى سارع كبار النقاد الأمريكان باستقطابها، وتبنيها

---

[13] – المرايا المحدبة، ص :321.

[14] – المرايا المحدبة، ص : 321.

[15] – المرايا المحدبة، ص : 165.

[16] – المرايا المحدبة، ص : 165.

[17] – المرايا المحدبة، ص : 165.

كاستراتيجية نقدية جديدة أمثال : بول دو مان Paul de man، هارولد بلوم Harold Bloom، ج. هيلس ميلر J. Hillis Miller، جيوفري هارتمان Geoffrey Hartman.

أما الجانب التنظيري فكان من شأن الأب الروحي لهذه الإستراتيجية **جاك دريدا** الذي نَظَّرَ لها في كتب أهمها:

1. " في علم الكتابة " "De la Grammatologie"
2. "الكتابة والاختلاف" 1967 " L'écriture et le Difference"
3. "هوامش فلسفية " 1972 "Marges"

وعلى نهج دريدا سلك النقاد الأمريكان طريق النقد **التفكيكي**، فأخرج **بول دو مان** كتاب **"التحليل الذاتي"** سنة 1975. وكتاب **العمى والبصيرة**

وكخلاصة لفحوى السالف الذكر أن **التفكيك** لم يأت من العدم، بل له مرجعيات، و**مسارات إبستيمولوجية**. تبين أن ظهوره جاء نتيجة لعوامل كثيرة؛ فتارة **ثورة** على ما سبقه من مناهج نقدية، وتارة اعتماده على مركزية مميزة **كالشك**، وتارة أخرى خاصية مكتسبة نتيجة **احتكاك**، و**تأثيروتأثر(احتكاكه بنظرية التلقي)**، وتارة أخرى **قفزة نوعية**، ومرحلية جاءت نتيجة جدلية بين رفض، وصراع من أجل البقاء. وبالتالي فكل هذه المعطيات، وغيرها بلورت **إستراتيجية التفكيك**، وأفرزتها كإجراء يمكن تطبيقه على جميع الأشكال الأدبية مشكلة بذلك واقعا بديلا عن النقد الكلاسيكي.

مقولات التفكيك:

التفكيك في حقيقته هو ممارسة قام بها **جاك دريدا** ضمن مقولات عدة منها **التمركز حول العقل، والتمركز حول الصوت، التشتيت، الاختلاف، الإرجاء، علم الكتابة**، ليسائل به الفكر السائد ليقيم له صرحا جديدا خاليا من التمركزات التي تأسست منذ أمد بعيد ترجع أصولها إلى زمن أفلاطون وأرسطو.

1. نقد دريدا للتمركز"حول العقل" "Logocentrism"

ما بعد البنيوية الدكتور وليد عثماني

من المقولات التي قوضـها **جاك دريدا** "**Logocentrism**" أي **التمركز حول العقل**، أو **ميتافيزيقا الحضـور** "و **"Logos"** لفظة يونانية تعني **الكلام**، أو**المنطق**، أو **العقل** وبهذا فإن حقلها الدلالي متشعب... ودلالة المصطلح تتشظى إلى حضور، و**تمركز الكلام**، أو **العقل**، أو **المنطق**"[18].

و**التمركز حول العقل** أو "**ميتافيزيقا الحضور** في أبسط تعريفاته تعني القول بوجود سلطة، أو مركز خارجي يعطي الكلمات، والكتابات، والأفكار، والأنساق معناها، ويؤسس مصداقيتها"[19]. ومن ثمة غدا هذا **التمركز** أساسا لكل المقولات التي قامت عليها **المركزية الغربية** التي تمكنت من العقل لما **خمس وعشرين (25)** قرنا؛ أي منذ عهد **أفلاطون Platon** و**أرسطو Aristote** حتى **هيدغر Martin Haidegger** و**ليفي شتراوس Claude Lévi-Strauss** و**دو سوسير**.

إن هذا المسار الزمني ليس بالهين ليظل **سلطة** أو **مركزا** واحدا تُعْزَى إليه جميع الأفكار، والعقليات: "وهو الارتكاز على **المدلول** وتغليبه في البحث الفلسفي واللغوي، حتى عندما يحاول أولئك المفكرون عزل المدلول فإنهم يستعينون بمدلول بديل"[20].

2. **نقد دريدا للتمركز حول الصوت**

رأى دريدا أن **التمركز حول العقل** ما هو في حقيقة الأمر إلا نتيجة للتمركز حول الصوت، من خلال إعطاء الأولوية **للكلام** (النطق) على حساب **الكتابة**.

وقد بدأ في نقده **للتمركز حول الصوت** انطلاقا من **أفلاطون**، ومرورا **بجون جاك روسو Jean –jacques Rousseau** ليحط عند **دو سوسير**؛ حيث يعد هؤلاء الثلاثة ممن أقصوا الكتابة، ونزلوا بها إلى درجة ثانية بعد **الكلام** لأن الفلاسفة قد عبَّروا عن "كرههم للكتابة بسبب خشيتهم من قوتها في تدمير الحقيقة الفلسفية، التي يرون أنها حقيقة نفسية خالصة، وشفافة، ولا يُعبَر عنها إلا بالحديث الذاتي، أو الحديث المباشر مع الآخرين"[21]. وبهذا الطرح غدا دريدا ناقدا لهذا **التمركز**، وساعيا إلى قلب تلك الموازين، والتصورات رأسا على عقب، وذلك حينما "يتقدم بفكرته

نقد دريدا التمركز حول الصوت

<u>أولا</u>: مع أفلاطون :

---

[18] – معرفة الآخر، ص: 123.

[19] – المرايا المحدبة، ص: 378.

[20] – عبد الله الغذامي، الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية، النادي الثقافي جدة 1985. ص: 52.

[21] – المركزية الغربية، ص: 327.

ما بعد البنيوية الدكتور وليد عثماني

يعد أفلاطون حسب **دريدا** من الذين أقصوا **الكتابة**، وحطوا من قدرها، حينما أورد أفلاطون في فلسفته: أن الكتابة تمارس خطرا على الذاكرة، وبذلك وجب الحذر منها لأنه ما من شيء يحفظ للذاكرة سلامتها، ويجعلها أكثر اتقادا غير الكلام. وبهذا حدثت مفارقة بين **الكتابة والكلام** ويُرجع إلى التناقض بين وظيفة كل من الكتابة والكلام إلى كون الأولى غريبة عن النفس، فهي شيء طارئ، وخارجي ومجرد اصطلاح تقني. فيما الكلام صادر عن النفس ذاتها، باعتبارها مستوطَنته الأصلية وكإيضاح لما ذهب إليه أفلاطون فإنه يعتبر في زعمه أنه لا تبليغ حادث في الأصل إلا إذا كان من إنسان إلى إنسان آخر؛ أي في تواصل مباشر يعتمد على الحضور الكلي لكلى الطرفين.

والتبليغ يحمل دلالة الكلام أكثر مما يحمل دلالة الكتابة. كما يرى أن هناك صعوبة معرفية في المقارنة بينهما وإذا أمكن "فإن نتيجتها لا تختلف عن كل النتائج التي تقوم حينما نقارن بين شيء حي وشيء ميت"[22]. و**الذاكرة** حسب الخطاب الأفلاطوني قسمان:

1. **ذاكرة مستحبة بارزة مؤسسة على فاعلية الكلام.**
2. **ذاكرة مستهجنة ومنحطة متصلة بالكتابة وجب التخلي عنها** وعدم اللجوء إلى هذا **"الفارماكون"** الذي يعد في ظاهره دواء ولكنه في حقيقة الأمر هو الداء.

وانطلاقا مما تبين؛ نجد **دريدا** يوضح في **نقده للتمركز حول الصوت**. أن الفكر الغربي عامة أسس علاقة غير متكافئة بين الكلام، و**الكتابة**، علاقة محكومة بالعنف. سُلط على الكتابة بإقصائها وجعلها ذيلا تابعا للكلام.

اقترح دريدا مصطلحا آخر فكك باسمه **التمركز حول الصوت** وهو الـ: " **الغراماتولوجيا** "" ***Grammatologie*** " أو ما يعرف بعلم النحوية. والذي أسس له في كتاب أصدره بفرنسا عام 1967 عنونه بـ: "**De la grammatologie**" من خلاله رفض الإيمان المطلق بأن **الكتابة تابعة للكلام**، ومكملة له، ذلك الطرح الذي ولدته **الميتافيزيقا**. وذهب إلى أنها موازية له، بل وسابقة عليه. وبهذا تتجاوز حالتها القديمة، من كونها حدثا ثانويا يأتي بعد النطق، وليس له من وظيفة إلا أن يدل على النطق، ويحيل إليه. وبذلك تسبق الكتابة اللغة وتكون اللغة نفسها توالدا ينتج عن النص المكتوب. وتظهر بذلك الكتابة في محاورة مع اللغة سابقة عنها، و**متجاوزة** لها. ومن ثمة فهي تستوعب اللغة فتأتي كخلفية لها بدلا من كونها إفصاحا ثانويا متأخرا. والكتابة إذا ليست وعاءً لشحن وحدات معدة سلفا وإنما هي صيغة لإنتاج هذه الوحدات وابتكارها. وعلى إثر هذا التفكيك الذي أجراه **دريدا** يتبين لنا نوعين من الكتابة:

- **أولا : نوع يتكئ على مرجعية ميتافيزيقية تعتمد على التمركز المنطقي "Logocentrism"** وهي التي تسمى الكلمة كأداة صوتية/أبجدية خطية. وهدفها توصيل الكلمة المنطوقة.

[22] – المركزية الغربية، ص: 328.

● **ثانيا : كتابة تعتمد على النحوية "*Grammatologie*" أو كتابة ما بعد البنيوية**، وهي ما يؤسس العملية الأولية التي تنتج اللغة[23] و"الكتابة هنا تقف ضـد النطق، وتمثل عدمية الصـوت. وليس للكينونة عندئذ إلا أن تتولد من الكتابة، وهي حالة الولوج إلى لغة الاختلاف، والانبثاق من الصمت. أو لنقل إنها انفجار السكون"[24]

وعليه؛ نجد **دريدا** قد سعى إلى تحطيم النزعة العنصرية المسلطة ضد الكتابة والتأسيس لنظرة جديدة تعيد لها مكانتها ورونقها.

II التفكيك: المصطلح

1. الاختلاف:

يجيب دريدا في كتابه"**الكلام والظاهرة**" نحن نعني بالاختلاف الإزاحة التي تصـبح بوسـاطتها اللغة أو الشـعر (code)، أو أي نظام مرجعي عام ذي ميزة تاريخية عبارة عن بنية من الاختلافات[25]. ومن خلال هذا الطرح يؤسـس دريدا من جديد مرتكزا آخر **للتفكيكية** كاستراتيجية في قراءة النصوص، والمتمثل في **لا نهائية الدلائل**. لأنه طريق الاختلاف في المعاني، والكلمات في النص هي اختلاف في الإشارات بين كلمة وأخرى، وبهذا الاختلاف تتولد دلالات مستمرة للمعاني. لا بسبب تقرير دلالاتها، وإنما من اختلافاتها المتواصلة مع المعاني الأخرى، ولما كانت هذه المعاني لا تعرف الثبات والاستقرار فإنها تبقى مؤجلة ضـمن نظام الاختلاف[26]. وبالاختلاف، والتأجيل تصـبح دلالة الاختلاف تنتظم حول قطبين دلاليين أسـاسـيين هما الاختلاف والتأجيل... لكن هذين القطبين لا يؤسـسـان لفكرة التوازي في منهج التفكيك، كونه يهدف إلى تقويض الثنائيات التي أرستها الميتافيزيقا[27].

هذا هو تأسـيس **دريدا** من خلال الـــ **"Différance "** للاختلاف، والتباين، والتمايز، واللعب مع الدلالات باختلافها، وتأجيل، أو إرجاء معانيها. فما هي دلالة الاختلاف الـ **"Différance "** إذا؟ " إن **Différance** بكلمة هو بنية، وحركة لا يمكن تصورها على أساس التعارض بين الحضور والغياب فـالـ**"Différance "** هو التبدّي المنظِّم للاختلافات ولآثار الاختلاف"[28]. وبعد الـ: **"Différance "** حسب وروده في المعاجم المصطلحاتية وفي تعريفاته البسيطة: "هو نظرية **دريدا في كتابه** مواقف **"Positions "** (1971) التي تزعم عدم وجود أي معان محددة للكلمات، وأن أقصى ما تستطيع

---

[23] – الخطيئة والتكفير، ص: 53.

[24] – الخطيئة والتكفير، ص: 53.

[25] – المركزية الغربية، ص: 317.

[26] – المركزية الغربية، ص: 318.

[27] – المركزية الغربية، ص: 318.

[28] – جون ستروك، البنيوية وما بعدها من ليفي شتراوس إلى دريدا، ترجمة: محمد عصفور، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت 1996. ص: 191.

إدراكه هو الاختلاف فيما بينها وإرجاء المعنى إلى أجل غير مسمى وهو يرادف بين ذلك وبين مصطلح آخر هو Gram أي الكتابة"[29].

3. التشتيت "الانتشار" : " Dissémination "

ذهب محمد عناني في معجمه إلى "الانتشار، النشر، التناثر Dissémination مصطلح مستمد من كتابات **دريدا**، ويعني مقدرة المعاني على **الانتشار** إلى ما لا نهاية،... فهو بذور معان تتوالد إلى الأبد"[30].

من خلال هذا التعريف يمكن لخاصية **الانتشار** أن تداول "هذا **التكاثر المتناثر** ليس شيئا يستطيع المرء إمساكه، والسيطرة عليه، وإنما يوحي باللعب الحر (free play) الذي لا يتصف بقواعد تحدد هذه الحرية، بل هو حركة مستمرة تبعث المتعة، وتثير عدم الاستقرار، والثبات، ويتسم بالزيادة المفرطة"[31] وبهذا يؤسس **دريدا** لصرح لا متناه من المعنى، والدلالة، واللا تقيد في التدليل من خلال هذا المصطلح.

وقد أسس دريدا لهذا الطرح في كتاب وسمه"**بالانتشار**" ويتكون من مقدمة، وثلاثة مقالات:

1. **المقالة الثالثة:** عنونها بـ**"التشتيت"** إذ تحدث عن قضية المؤلف، وكيف ينتشر اسمه في نصه ليصبح نتيجة نصوصية. وبهذا يتبين مع طرح دريدا كيفية ممارسة الانتشار السلالي.

دلالات التفكيك: " La De-construction "

التفكيكية ما هي إلا إستراتيجية وليست منهجا في قراءة النصوص، ولا يمكن في يوم من الأيام أن تحول إلى منهج[32]. وبذلك تُحسب على أنها إستراتيجية للعب مع الدلالات، ويمكن إضافة كلمة الحر لتصبح اللعب الحر بالدلالات وذلك من خلال عدد من الاحتمالات، حيث يمكن أن نفكك التفكيك الـ: De-construction نفسه لنحصل على:

- **Dé قمع خياطة = نسيج = نص.**

---

29 – محمد عناني، المصطلحات الأدبية الحديثة، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان. ص: 19.

30 – المصطلحات الأدبية الحديثة، ص: 22.

31 – دليل الناقد الأدبي، ص: 120.

32 – الكتابة والاختلاف، ص: 61.

ما بعد البنيوية الدكتور وليد عثماني

- Dé زهرة النرد = لعبة = احتمال (الضرورة، والمصادفة).
- Dé فعل الانشقاق، والانفصال (فعل يفيد العكس).
- construction = الأصل، والبناء، والتأسيس.

وبالتالي نتحصل من خلال هذا التفكيك كمصطلح على:

" Dé من **Dé-construction** هي نص **كنسيج**، ولعبة كاحتمال، و**خلخلة**، **وإزاحة**؛ تشابك المعنى، والعبارة، والإشارة. بالمعنى الجيولوجي، هو وجود طبقات **(strates)** مترسبة ينبغي نحتها، وإزاحتها؛ وبالمعنى الإستراتيجي إن هذه الطبقات منسوجة بحيث يتعذر الكشف عن لحمة النسيج **"trame"** والسلسلة "**chaîne**". فالنص هو نسيج مركب من إشارات، وتعبيرات، ودلالات متداخلة، ومتشابكة تستدعي التفكيك، والعزل لفحص بنيتها، وجذورها المتضاربة وفق دقة، وحذاقة"[33].

يسعى **دريدا** هنا إلى نقض هذا النسيج، وكشف **الاحتمالات** من خلال **اللعبة**، وكشف الطبقات من خلال **الخلخلة والإزاحة**. فكل هذه الأعمال تستهدف **النص** لتقف على أصوله، ومقوماته التي قام عليها حتى يتمكن من **تفكيك مركزياته**، و**يعيد بناءها** من جديد.

ما بعد البنيوية الدكتور وليد عثماني

[33] – محمد شوقي الزين، تأويلات وتفكيكات، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء. بيروت ط1 1997. ص: 119.